

الاستاذ

الجزء العشرون من السنة الاولى

يوم الثلاثاء ١٥ جمادى الثانية سنة ١٣١٠ و ٢٦ كيهك سنة ١٦٠٩

الموافق ٠٣ يناير سنة ١٨٩٣

اشتات الشرق وعصبيات اوروبا

من نظر في تقدم الشرق في الاعصر الاول قوة وعلمها ومدنية وتأخره
مبتدئاً بالتفهم من اربعة قرون مضت قال ما لهذه الامم العظيمة صارت
كتفاريق العصا ورجعت شعوبا وقبائل وبطونا وانفاذا وانزوى كل فريق
في قطعة من الارض اتخذها وطنا فيها ولد وتربي وان سرت فيه حمية آباءه
عنها يدافع وفي احيائها يموت وبتعدد الجوامع الشرقية من جنس ولغة ودين
ووطن نبذوا الوحدة الاجتماعية ظهريا ومالوا مع الالهواء وجعلوا المنافع الذاتية
والسطوة الشخصية وجهة فانحلت العرى التي ربطها الجنس العربي الذي دك
كثيرا من عروش اوروبا وجلس على كثير من كراسي ملوكها واذا نادى
تلك الجموع الخاضعة اليه سمع لبيك لبيك الجواب العربي ممن جوابه سي
سي أو وي وي وطرده جواده من تهامة فسمع صهيلها في ليون من اراضي
فرانسا وفي جميع اراضي اسبانيا والبورتغال وصقلية ونابلي وجزائر البحر

الايض وسمع صدهاء في خط الاستواء والممالك الهندية والفارسية والتركية
والتركانية وان شئت فقل لم تبق اذن في آسيا وافريقيا الا وقد سمعت صهيل
خيل الفريق العربي حتى لهج كل ناطق باسم الاءرب او ارابو . ولتجرده
من الانفعالات النفسية وتحركه بروح الدين وقوة الملك سوى بين عربي
وتركي وفارسي وهندي وقبطي وشامي بل بين كل افريقي واسيوي
وضم الجموع تحت نظام واحد يرجع اليه رجوع الابناء الى ابيهم فاختلقت
المشارب والمذاهب وتوحدت الوجهة الملكية انتظاما واستيطانا ودفاعا فكانت
ترى في المسلمين سنيين وشيعيين وخوارج ومعتزلة ودهرية ومعتلة ودروزا
وكل قسم من هذه الاقسام يشتمل على مذاهب شتى وترى في النصارى
الروم الكاثوليك والارثوذكس والمارونية والاروسية والانجباية وفرق
اليحقوقية والنسطورية واليسوعيين وما في كل مذهب من الفروع والشعب
وترى في اليهود الطارونية والموسوية والقرآيين والسامريين وما في كل قسم
من الفروع والاحكام المتغايرة وربما رأيت كل هذه الاديان باقسامها
وفروعها في بلد واحد يجري كل انسان في طريقه الديني غير معارض في
شيء من اصوله او فروعه او عاداته فاذا انتهى من العبادة عاد الى المجتمع
الملكي وانتظم مع حزبه يؤيده برأيه او يساعده بما له في الخصائص والمزايا
فاذا سمع الصيحة الجامعة انضم مع عصبيته الى مجموع العصبية الشرقية
وطوى الخصائص المشربية تحت بساط الحاجة حتى يفرغ من صيانة الوطن
والدفاع عن الملك ثم يعود الى حزبه يشتغل معه في صالح الوطن والمنفعة
العامة من طريق المشرب الخاص تحت عناية عظيم يدبره وعافل يرشده فكانت

تري المسيحي والاسرائيلي يقاتلان مع المسلم من مائلها دينا دفاعا عن الوطن
 وشرف الملك لاستوائها معه في الجوامع الوطنية والقوانين الملكية . وهكذا
 الشأن في كل اقليم وبلد . والقائمون بامور الأمة يربون الرجال تحت
 حضانتهم باحتكاك الافكار والمشاركة في الاعمال وترقية المؤهلين الى الرتب
 العالية بعد التجربة والاختبار والتمرين على شاق الاعمال والتربية في الادارات
 المختلفة المواضيع . وبهذه العصبية ارتفع كثير من العقلاء الى رتب الوزارة
 والقضاء وولاية الاقاليم باصوات حزبه او جملة احزاب تؤيد مبادئه وترجو
 حسن غايته وانحط كثير من تحولوا عن الوجهة الوطنية والحق الدولي بسعي
 الاحزاب المخالفة لحزبه . والمدقق الخبير يجد هذا الاختلاف ظاهري الصورة
 يرجع الى غاية متعددة هي وقاية الوطن والملك . وعند مخالطة الاوروبيين
 للشرقيين في الحروب الصليبية التي عادت على اوروبا بكل خير ومنفعة
 اخذوا عنهم هذه الطريقة السياسية وانقسموا احزابا بين حرو ومحافظة
 وجمهوري ومالكي وكوفي ونهابست وسوسياست ومتطرف ومعتدل واتخذت
 كل عصبية وسيلة لتوصل بها الى حياة الامة وصيانتها وحفظ الوطن وامتداد
 سطوة الدولة ونفوذها في التخوم وما يصلح للاستعمار فاختلفت الوسائل وتعددت
 العصبية مع اتحاد الوجهة فكان للمجموع مبداء يبني عليه اعماله التي يريد
 الوصول الى غايتها وترقت هذه الافكار عاما فعاما حتى انتهت بهم الى انتخاب
 الوزراء باصوات العصبية وعظمت ثقة الاهل بالحكومات المقيدة باصواتهم
 فنفذت سطوتها في اقاليم كثيرة وممالك متباعدة ووضع بيت الملك
 على اساس متين اذ صارت وقايته مفروضة على العصبية بالمسابقة الى التقدم

الملكي . ولم يجز المجموع تحت حكم وزير يستعملهم آله في تنفيذ آرائه بل
 اتخذ كل فريق رئيسا عاقلا مجربا محنكا وعلموا مبادئه وغاياته فصاروا
 اعضادا ينصرونه ويؤيدونه وينادون به في الانتخابات وينبهونه على الاغاليط
 ويساعدونه على امتداد نفوذه المؤيد للدولة بكل ما يقدرون عليه وكل رئيس
 يربي رجالا يخلفونه اذا انقضى دوره ويمدونه بأرائهم اذا قبض على زمام
 الاحكام . وبهذه الوسائل المحكمة عظمت ثقة الملوك بالوزراء فاسندوا اليهم
 الاحكام موقنين انهم يحافظون على الملك اعظم من محافظتهم لو اسنقلوا بالحكم
 والادارة حتى انهم لو عينوا سفيرا او قنصلا في جهة قالوا له ان سلفك وقف
 عند نقطة كذا الدواية فاذا لم تتمكن من التقدم عليها فاجتهد في محافظتك
 على ما وصلنا اليه بهمة غيرك . ولهذا لا ترى دولة اوروبية تنقهر في
 الشرق او في جهة اوروبية الا بقوة عظيمة مشكلة من مجموع دولي . وفي
 مقابل هذا الائتلاف البديع مع علمنا بما عليه عصبية اوروبيا لم نزد الا
 نقهرا باعراض رجالنا الشرقيين عن تربية الخلف والاعضاد ونوم الافراد
 تحت ردم الغفلة او الخوف الوهمي فلا نسمع الا عزل فلان واسند امر الوزارة
 الى فلان في الآستانه او طهران او مصر او مراکش او تونس واذا بحثنا في
 المعزول والمولي رأينا كلا منهما لا يقول الا برأيه ولا يعتمد الا على قوته
 العاقلة وتبديره الذي كثيرا ما يراه احدهم صوابا وهو خطأ عظيم ونرى حول
 كل وزير ووال ومتصرف ومدير ومفتش وما مور زمرا توسم بالمحاسب وهي
 اخلاط من الغوغاء والرعاع يستعملهم مع الجهل في الادارات والوظائف
 فيعيشون في البلاد حيث الذئب في الغنم المهمة فاذا عزل احدهم جاء الثاني

بجاسديه وطرده السابقين ووضع جماعته مكانهم فيفعلون فعلهم غير مبالين بسوء ما يرتكبونه لعلمهم ان المنتهى الى من لا يسألهم عما يفعلون وبهذا ضاعت المصلحة الوطنية وتوزعت في الشهوات والاهواء وصرنا نعد العقلاء ثلاثة او اربعة في الاستانة واثنين او ثلاثة في مصر واذا رأينا تداخل وزارة اخذنا نهجس ونخمن فيمن يكون بعد الحاضر لعلمنا انه لا يوجد من المرشحين المؤهلين لهذا المنصب الا فلان وفلان وهما لم يربيا احدا مدة توليها الاحكام حتى يخلف الواحد منهم آخر من مشربه فيسير بسيره ليتم عمله الذي كان مشتغلا به وانما كنا نرى هذا يشتغل بوضع اللوائح والنظامات وترتيب الاعمال والعمال واحكام العلاقات بين حكومته وغيرها وبسعى في توسيع التجارة والصناعة والزراعة بطرق سهلة وقبل ان يتم عمله يعزل ويخلفه من يخالفه مشربا فيهدم ما بناه ويفسد ما احكمه ويغير نظامه ويأخذ في مجاراته باحداث اعمال تنسب اليه ويشتغل بما اشتغل به سابقه وقبل ان يتم عمله يعزل ويأتي غيره على هذه الطريقة . وبهذا السير اختلت ممالك الشرق وكثر فيها الفساد وتمكن الاجانب والدخلاء من الرؤساء الذين لم يربوا احدا من اهل بلادهم وخافوا من العقلاء من قومهم وظنوا ان استخدام الدخيل يقيم فتنة الرعايا ويؤيد سطوتهم فيهم فاكثروا منهم فجاؤم بالمصائب ولكننا اذا قابلنا اعمال باعمال رجال اوروبا وجدناهم في خطأ عظيم وقد تحملوا مسؤولية ام عظيمة باهدارهم طرق الاصلاح . واننا نرى الآن المشابهة سرت في رجال الشرق فاخذوا بما كون اوروبا فيما به يفرون من اسم الهمجية والنوحش وسعوا في جمع كلمتهم وعقد الجمعيات لفتح مدارس العلوم والصنائع وتهذيب النفوس وتعميم

الآداب ولكنهم مع بقائهم على التفرق وعدم اتخاذ مبدا يبنون عليه اعمالهم لا تزال الايام تقيهم وتقدمهم وهم حيارى بين المقعد والمقيم . فلا بد ان يكون لكل عصبية وزير مدرب يرجعون اليه فاذا اسندت اليه وزارة اعانوه وساعدوه وبنوا مبادئه وتعاليمه في العالم المحكوم ليقووا بذلك اعماله الداخلية والخارجية فاذا خالف مبادئهم انضموا الى العصبيات الأخرى وعارضوه برفع اعماله المختلفة الى الملك او الامير حتى يغير وجهته او يتغلى عن الوظيفة ويتولاها آخر له مبدا وطني ايضا تؤيده عصبية أخرى تحت مراقبة العصبية الثانية كما هو حاصل في بلاد الانكليز الذين تخللوا بممالك الدنيا باعمال حزبي الاحرار والمحافظين واحكام سيرهما في توحيد الوجهة الملكية مع اختلاف الوسائل المؤدية الى المقصد الاجماعي . نعم ان الآستانة ومصر ليستا متأهلتين للانتخاب وحرية الافكار كما ينبغي ولا لتوسع الحكومة باكثر مما هو حاصل الآن ولكن اذا اجتمعت الامة على مبدا وطني دولي غايته حفظ كرسي الملك الامير الاعلى وعقدت اجماعها على الخضوع اليه والرضوخ لاحكامه وتأيد مبادئه وتعظيم مقاصده وحفظ النظام الذي يثبته فيها وربطت عزائمها على حفظ مركزه ووجوده في منصة حكمه مؤيدا باتحاد الامة معضدا بانقيادها مسروراً بما يراه من الأمن وحسن المخالطة والمعاشرة امكنها ان تعطي لجماعة من الامراء جانباً من الاعتماد على هذا الاتحاد والثقة بصالح نية العصبيات فاذا علم الوزير منهم انه مسئول بين يدي عصبية عن اعماله وهم يرون ان غيرهم يراقب اعمال رئيسهم انبهت في الوزير حمية الخدمة الوطنية وثقوت افكار عصبية في مراقبته وبحث اعماله وتنبيهه على كل

ما يؤخذ به او يلام عليه او يوجب سقوطه من منصبه . وهذه الاماني وان كنا لا نثق بالوصول اليها تماماً في عصرنا ولكننا اذا بدأنا بتأسيس المبادئ وتخصيص العصبية وجرينا على ذلك الهويينا جاء من بعدنا على نظام لا يكلفه الا القيام بما فيه . وهذه العصبية والاحزاب لا يمكن تكوينها الا من الوطنيين الذين دفنوا اجدادهم في البلاد فهم يخافون ان نطأ خيل الغرباء تلك القبور الحافظة لعظام المجد الوطني والشرف الملكي ففي مثل بلاد الدولة العلية غير الممتازة تكون من الترك والعرب والجر كس والكرد والارمن وفي مثل مرا كس والجزائر وتونس تكون من العرب والافريقيين وفي مثل مصر تكون من المسلمين والاقباط والاسرائيليين وفي مثل طهران تكون من الفرس والكرد وهكذا تكون العصبية من اهل كل وطن ويعتدون عزائمهم اولاً عقد اجماع على تقديس مناصب الملوك والامراء ثم يبحثون فيما يمشي بهم في طريق حفظ الملك او الامير من كل ما يمس اي حق من حقوقه المقدسة . ولا يفهم غبي من ذكر العصبية والاحزاب ان المراد عصبية افساد او احزاب قتل وحروب فان ذلك محض الجنون لاننا محاطون بدول اوروبا وان كنا في قطعة شرقية وقد امتلأت بلاد الشرق وممالكه بالاروبيين متجربين وسائحين ومعلمين وصناعاً ومع هذا الاختلاط القاضي بالمحافظة على الأمن والراحة فان افتراق ممالك الشرق واختلاف كلمة معظم اهلها يقضي عليهم بالعدو عن كل فتنة توقعهم في حرب اوربية لا يقدر على اقتحام خبائثها لاتفاق ممالك اوروبا عليهم واختلاف ممالكهم الشرقية مع فقد المعدات والمواد الحربية

واذا كان ذلك مرسوماً بين اعين العقلاء منا استحال تصور التجمع لفتنة
 او لمعاكسة دولة اوروبية وتعين فهم مجاراتنا لاوروبا في اتخاذ طرق المدنية .
 خصوصاً ونحن معاشر المصريين بين يدي امير سكنت محبته قلوبنا وتخللت
 اجزاء ذواتنا وتعلقت آمالنا بهمته العالية وافكاره المنيرة ولكننا لا ننسى
 اننا تحت مرافقة دولة عظيمة تسعى في تقدم مدنيتنا وتوصيلنا لمعرفة
 حقوقنا الوطنية وتبذل جهودها في نشر التعاليم الاوروبية في انحاء بلادنا
 وتفتخر وزراؤها ووكلاؤها بانهم اوصلونا الى المدنية وعلمونا كثيراً من
 طرق الاصلاح التي كنا نجعلها ونبهونا للمطالبة بحقوق خديونا المنعم ووطننا العزيز
 وارشدونا الى طرق حرية الافكار والمجامع فعلاً بهذه العلوم النفيسة واتباعاً
 لنصائحها واقتداءً برجالها ينبغي ان نقابل سعيها بالتظاهر امامها بشعرات
 انعابها ليكون فخرها بين الدول بنشأتنا الوطنية وعصبياتنا المصرية اكبر
 واعظم وليعلم العالم المدني الاروبي انها وعدت ووفت والا فان بقيت على
 اجتهادها وبقينا على ثقافتنا كنا علة لما لانحبه وابسنا ثوب عاريين
 الام واصبحت الدولة المراقبة لنا تبكثنا وترميننا بفساد الاخلاق وجبن الطباع
 وعدم الاقتدار على الاختراع . فعلينا معاشر المصريين خصوصاً والشرقيين
 عموماً ان نبحث في طرق احزاب اوروبا وروابطهم وكيفية سيرهم وموجب
 استمرارهم على ما هم فيه ونقلهم بسير لطيف واعتدال في الحركات والسكنات
 مع لزوم الهدو وحسن الانقياد والمحافظة على حقوق الاجانب والنزلاء والانتباه
 لهوائس الدخلاء وفتن الأجراء ولتكن لكل فريق جرائد تنشر اعماله وتؤيد
 اقواله وتبين له دسائس بقية الجرائد وتنبيهه على ما يجب اتخاذه مما تراه

سبحان

سبحان

صالحاً آخذة افكارها عن مجموع اعمال الحزب او آراء عقلائه بحيث
 تلزم مشرباً لا تتحول عنه بتحول الاحوال ولا تلتون امام حزبها بتلون
 المطامع ولا يلزم من اختصاصها ان تكون مضادة لغيرها من الجرائد في
 كل ما يكتب فيها فان الجرائد مدارس الافكار ومعارضتها افعال لباب
 التعلم الادبي وانما تحافظ على مبادئ حزبها وتجاري الجرائد في المقالات العامة
 والافكار النافعة والا اذا تركت الاحزاب والجرائد واخذت كل ما يقال
 بالقبول من غير بحث في مصدره وما تحته من الدسائس تحول مجرى سيلها
 الوطني الى الاودية الاجنبية ووقعت في اشراك اوروبا وهي لا تشعر ولتكن
 الجامع مطهرة من ذوي الافكار الفاسدة محفوظة من الطائرين خلف المحسنات
 الاوروبية مصونة من التغاذل والتباغض متعلقة برئيس لا يختلف في استحقاقه
 للرياسة اثنان فاننا ان فعلنا ذلك قالت اوروبا قد عمت المدينة واستوى فيها
 اشقات الشرق وعصبيات اوروبا

—*—

باب اللغة

نقدم لنا انا بحثنا في اللغة العربية وما كانت عليه من العزوالارتقاء
 ايام خلوا العرب من الدخلاء والخلطاء وما صارت اليه بعد انتشار الدين
 الاسلامي وسلطتها على كثير من اللغات فعز على غير العرب النطق بها
 للتباين بين مخارج حروفها وبين حروفهم وعدم تعودهم على النطق فحرفوا
 بعض الكلمات وصحفوا وحنوا حتى حدثت اللغة الدارجة المسماة بلغة العامة